شَرْحُ كِتابِ الرِّقاق

مِن صَحيحِ البُخارِي

أ. أناهيد السميري

اللقاء السابع

ألقي في ٧ رمضان ١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

ما تم دراسته من أبواب:

مراجعة للباب الثامن.

٩) بَاب ذَهَابِ الصَّالِحِينَ وَيُقَالُ الذِّهَابُ الْمَطَرُ.

١٠) باب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ جلستنا في قراءتنا لصحيح البخاري كتاب الرقاق بالباب الثامن الذي أمس مررنا عليه مرور سريع.

بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} إلى قوله: {مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر:٥، ٦] جَمْعُهُ سُعُرٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الْغَرُورُ الشَّيْطَانُ.

نبدأ أولًا بمناقشة الآية ثم ننتقل إلى الحديث الذي تحت الباب.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

في الآية ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني بالبعث والثواب والعقاب، وعد الله حق بلقائه سبحانه وتعالى، وعد الله حق بالمجازاة، وعد الله حق بالعقوبات التي تنزل على العاص.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الغرور هو الشيطان.

المقصود النهي أن يغترّ الإنسان بالله، ما معنى أن يغتر الإنسان؟

يعمل المعصية ويتمنى المغفرة خصوصًا لو كان هذا وقت عزمه على المعصية، يعني وقت دخوله المعصية يدخل المعصية وفي قلبه أن الله غفور رحيم فيكون بذلك قد غرّه الغرور يعني غرّه الشيطان.

الآية شاهد على نهي الله بالاغترار بالشيطان، وبيّن لنا عداوته لئلا نلتفت إلى تزيينه لنا الشهوات الرديئة، في حال المؤمنين الاغترار معناه الاقتناع بما يسوّله في نفوسنا من أن العبد إذا اقترف الذنب استطاع أن يعود إلى توبة الله عز وجل بمجرد انتهائه من الذنب، والحقيقة أن العبد إذا دخل بهذه النيّة يعني لم يدخل الذنب بغفلة إنما دخل الذنب بقصد ومع استشعار أن الله عز وجل لا يقبل هذا الأمر ولا يرضاه ومتّى نفسه بالتوبة فهو كما مرّ معنا سابقًا يبعد عنه أن تميل نفسه إلى التوبة أو تنشرح نفسه إلى التوبة، يعني يبعد عن أن ييسر له التوبة، لأن التوبة لها أسباب ومن أسباب التوبة أن يشرح الله عز وجل صدر التائب للتوبة، والله عز وجل يشرح صدر الصادقين، يعني لو غفلوا أخطؤوا، وابن آدم يغفل ويخطئ غير لما يكون العبد متعمد لذلك.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ يعني أنزلوه من أنفسكم منزلة الأعداء وتجنبوا طاعته.

معنى ذلك من طاعتنا لله اتخاذ عدوّه عدوًّا، وخصوصًا أن هذا العدو الله عز وجل أخبرنا أنه عدونا أيضًا، هو عدوّ الله عز وجل من جهة كفرانه، سيأتينا في الأعراف كلام عن عداوته ومن موقفنا منه، والله عز وجل حذرنا منه فهو عدوٌّ لنا، فلابدّ أن يكون من عقيدتنا التي نستنهضها دائمًا ونراجعها دائمًا عداوة الشيطان.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ يعني الشيطان من الدّعاة يدعو، لكن يدعو حزبه إلى السعير يعني يدعوهم إلى الكفر ومن ثمّ يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، يعني ليس مباشرة إنما أولًا يدعوهم إلى الكفر والمعاصي ويجرهم جرًا إلى أن يصبحوا من أصحاب السعير والسعير المقصود به النار.

نأتي إلى الحديث الذي مرّ معنا أمس الذي فيه وصف لوضوء النبي صلى الله عليه وسلم، أمس مرّ معنا الكلام حول حديث عثمان رضي الله عنه، نقرأ الحديث ثم نرى وجه العلاقة.

حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ أَخْبَرَهُ قَالَ أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِطَهُورٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمَقَاعِدِ فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: ((مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَغْتَرُّوا))!

يعني بعدما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فضل الوضوء وفضل الدخول والصلاة وأنها سببًا للمغفرة نهى عن الاغترار.

ما العلاقة بين الآية التي قرأناها من فاطر وبين الحديث؟ العلاقة واضحة أن الشيطان يغرّ الإنسان فيقول له هنا كفارة وهنا كفارة وهنا طاعة تستطيع أن تعملها فتكفّر ذنوبك فادخل في الذنوب واقتحم الذنوب ثم صلي ركعتين ويُتاب عليك! توضأ فأحسن الوضوء وصلي ركعتين يغفر لك ما تقدم من ذنبك!

ولذلك لما يتداول الناس مثل هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه، عليهم أن يتداولوا أيضًا اللفظة الأخيرة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَغْتَرُّوا" والمعنى لا تغتروا فتسترسلوا في الذنوب.

تبيَّن لنا العلاقة بين آية فاطر وبين حديث النبي صلى الله عليه وسلم، الشيطان هو الغَرور والناس يغترون يعني كأن الشيطان هو الذي ينادي على من يشتري تعال اشتري مني بضاعة ثم إذا أتى المشتري يريد أن يشتري خدعة فغرّه، فالإنسان يكسب بعد ذلك الغرور، يعني الذي بين يديه غرور والشيطان هو الذي غرّه، كأن الناس في سوق والشيطان ينادي على بضاعته فيغتر به الناس، لما ينادي كما في الآية ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ كأنه يقف ينادي على بضاعته الكاسدة، ﴿يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم بعدما وصف هذا الفضل قال: "لا تغتروا" والمعنى أن الشيطان لا يجعلكم تسترسلون في الذنوب ثم يقول لكم هذين الركعتين تكفّر لكم ذنوبكم.

نقرأ شرح ابن حجر رحمه الله، قال:

وحاصله لا تحملوا الغفران على عمومه في جميع الذنوب فتسترسلوا في الذنوب اتكالا على غفرانها بالصلاة

كنا اتفقنا أن الصلاة التي تكفر الذنوب هي المقبولة، والمقبول من الصلاة لا أحد من الناس يستطيع أن يحكم على صلاته ويعرف أنها مقبولة، وكنا اشترطنا أمس ثلاثة شروط:

- الشرط الأول: أن تكون هذه الصلاة نابعة من قوة إيمان.
- الشرط الثاني: أن يكون هناك احتساب.
- الشرط الثالث: أن نعتقد أن هذه الصلاة إنما تكفر الصغائر وليست الكبائر.

فإنّ الصلاة التي تكفر الذنوب هي المقبولة ولا اطلاع لأحد عليه.

ظهر لي جواب آخر وهو أن المكفر بالصلاة هي الصغائر فلا تغتروا فتعملوا الكبيرة بناء على تكفير الذنوب بالصلاة فإنه خاص بالصغائر أو لا تستكثروا من الصغائر فإنها بالإصرار تعطى حكم الكبيرة فلا يكفرها ما يكفر الصغيرة.

على كل حال هذا الحديث صحيح وهو أن إحسان الوضوء ثم صلاة ركعتين هو سبب لمغفرة ما تقدم من ذنب، لكن هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: "لَا تَغْتَرُّوا" والمعنى أن الإنسان وإن عرف مكفرات الذنوب فإن هذا لا يسمح له بأن يسترسل في المعاصي.

والسبب في ذلك:

أن قصد الذنب مع وعد النفس بالتوبة سبب لإبعاد التوبة عن هذا الشخص، يعني الشخص الذي يدخل في الذنب وهو يقول لنفسه سأتوب بعد الذنب يقال له التوبة بعيدة عنك، الله يبعدها عنك، لأن هذا ليس تعظيمًا لله، الذي يفعل هذا الفعل يخسر التعظيم.

الأمر الثاني يقال لا تغتروا بمعنى أن هناك شروطًا تجعل هاتين الركعتين سبب لكفارة الذنوب ومن أهمها قوة الإيمان، والذنوب لما يدخلها الإنسان أول أثر للذنوب ضعف الإيمان، أول أثر أن الذنب يأكل شيء من إيمانك، يعني أنت الآن تطيع الله وتحصّل بالطاعات زيادة إيمان، فلمّا تدخل في المعصية ينقص الإيمان، فالشرط لهذه الأجور من جهة كونها كفّارة للذنوب أن يكون صاحب إيمان، ولما يقترف الإنسان الذنب يدخل في نقص الإيمان.

فالمقصود لا تغتروا هذه الأجور المرتبة على الركعتين تحتاج منكم إيمان وتحتاج منكم احتساب، وأيضًا في نهاية الأمر هي لا تكفر إلا الصغائر، وإذا أصرّ الإنسان على الصغيرة فهي بمنزلة الكبيرة فلم تدخل في الغفران.

كثير من الناس يتداولون هذا الحديث –الآن خاصة– ويرجون غاية الرجاء وأن ركعتين سبب للمغفرة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لَا تَغْتَرُّوا"، فلا تجعلوا هذا الحديث إحدى حبائل الشيطان التي تُوقع الإنسان في المعصية وتهونون عليه المعاصي؛ لأنه لو هانت المعصية هذا نفسه ذنب غير ذنب المعصية.

قال: أو أن ذلك خاصٌ بأهل الطاعة فلا يناله من هو مرتبك في المعصية والله أعلم

يعني أيضًا مثلما اتفقنا أن هذا الحديث وارد في أهل الطاعة يعني أهل الإيمان فلا يناله مرتكب المعصية.

الباب التاسع:

بَاب ذَهَابِ الصَّالِحِينَ وَيُقَالُ الذِّهَابُ الْمَطَرُ

قال العيني: "أي هذا الباب في ذكر ذهاب الصالحين أي موتهم.

وذهاب الصالحين –موتهم– من أشراط الساعة وقرب فناء الدنيا، ولما قال: الذهاب المطر قصد بذلك أن هذه من الكلمات المشتركة يعني الذهاب بمعنى الموت والذهاب بمعنى المطر.

أورد الحديث:

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوْ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمْ اللَّهُ بَالَةً)). قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: يُقَالُ حُفَالَةٌ وَحُثَالَةٌ.

"يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ" المقصود به قبض أرواحهم.

"وَيَبْقَى حُفَالَةٌ –أو حُثَالَةٌ–" هذا شك من الراوي والمقصود أن الكلمتين سواء حثالة أو حفالة.

"حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوْ التَّمْرِ" قال الحثالة الرديء من كل شيء.

يعني الذي يبقى حفالة أو حثالة من الشعير أو التمر يعني يبقى من الناس الرديئين منهم.

وقيل آخر ما يبقى من الشعير والتمر أرداه.

معناه الصالحون يذهبون الأول فالأول في كل زمان ويبقى حثالة الناس أو حفالة الناس يعني الرديئين من الناس.

الحثالة سقط الناس وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير.

يعني التمر له قشور والشعير له قشور ما يتساقط منه يسمى حثالة أو حفالة، فيذهب الناس الصالحون الأول فالأول لكل جيل، ويبقى ما يتساقط من الناس، وسقط الناس بمعنى حثالتهم وأضعفهم إيمانًا وأقلهم تقوى أي أردؤهم.

قوله: "لَا يُبَالِيهِمْ اللَّهُ بَالَةً" قال الخطابي: أي لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا.

وهذا يستمر إلى أن تأتي قيام الساعة فلا تقم الساعة إلا على شرار الخلق!

قال ابن بطال: في الحديث أن موت الصالحين من أشراط الساعة، وفيه الندب إلى الاقتداء بأهل الخير والتحذير من مخالفة طريقهم خشية أن يكون من خالفهم ممن لا يعبأ الله بهم.

يعني في كل زمان هناك صالحين وأتقياء وأهل علم وتجد الناس بكل يسر وسهولة يقع منهم تعدي عليهم وإساءة أدب في حقهم وعدم احترام لهم، فيكونوا داخلين في هذه الحال أنه يبقى حثالة أو حفالة من الناس لا يبالي الله بهم، المقصود أن الصالحين يذهبون الأول فالأول منهم ثم إذا بقي في كل جيل –قبل أن تقوم الساعة– يبقى في كل جيل حثالة الخلق، ثم إذا أخرج الله عز وجل صالحين يكون نفس الأمر مرة أخرى من نفس جيلهم ومن نفس سنهم يكون هناك حثالة، وهكذا إلى أن تقترب الساعة فيذهب الصالحون الأول فالأول، فتأتي أجيال لا يوجد فيها أصلًا صالحين!

من صور حثالة الناس أو حفالة الناس: العزيمة على مخالفتهم، والانتهاض الدائم لمخالفتهم! فكلما سمع الناس للعلماء فتوى أو سمعوا لهم أمر يخالف هواهم انتهضوا لكي يعارضوا هؤلاء، فيكونون من حثالة الناس الذين لا يبالي الله بهم بالة، وهذا الأمر واضح وموجود ويحركه من يحركه من أهل الشر.

فالمقصود أن فيه حث على الاقتداء بأهل الخير، فكلما اقتدى الإنسان بأهل الخير كان من أهل الخير.

نأتي للباب الذي بعده:

بَاب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

هذه الآية في سورة التغابن، نشرح الآية أولًا ثم نشرح الأحاديث الواردة في الباب.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ المقصود "إنما" هذه أداة حصر، كأنه يحصر علاقتنا بالمال والأولاد أنهم فتنة لنا.

وتدور الفتنة في ثلاثة أمور بالنسبة للأموال والأولاد:

أولًا الفتنة في صرف الجهد والقوّة في تحصيلها، فتنة من جهة كون يقضي الإنسان زمنه الأول في تمنيها والتفكير فيها، يقضي زهرة شبابه في التفكير فيها في المقابل أن الذي وفقه الله يكون شاب نشأ في طاعة الله، أمانيه حول الباقيات الصالحات

ثانيًا الفتنة في صرف القوة في المحافظة عليها وتنميتها، يعني ينشأ الناشئ وهو يفكّر كل قوته في التفكير في الأموال والأولاد ثم يعطيه الله عز وجل الأموال والأولاد فتكون فتنته من جهة شدّة الحرص على المحافظة عليها وعلى تنميتها.

- فيكون قضى العمر الأول في تمنيها.
- وقضى العمر الباقي في المحافظة عليها والحرص عليها.

ثالثًا في علاقته بربه يجعل مقياس رضاه وسخطه على الأموال والأولاد، من جهة ما يقع في قلبه من الاعتراض على قدر الله إن وقع في هذه الأموال أو الأولاد شيء لا يرضاه.

هذه الفتنة تتصل برضاه عن الله، فإذا وقع في القضاء والقدر شيء لا يناسبه فتن به فلم يرض عن الله، إذا رأى أحد أحسن منه في الأموال والأولاد وقع في قلبه حسد، إذا أحد آذاه في ماله أو ولده وقع في قلبه حقد.

فيبقى ما في حياته والذي به يرضى عن الله أو لا يرضى فهذه الأشياء إن حصل فيها قضاء وقدر لا يناسبه ولا يجد في قلبه رضا عن الله، بل إن رأى أحد أفضل منه فيها حسده، وإن أحد آذاه فيها حقد عليه، فتكون الأموال والأولاد سبب من أهم الأسباب في وقوع الناس في حبائل الشيطان سواء كان في أمراض القلوب وآثامها أو الآثام التي ترتكبها الجوارح، يعني ليس هناك قتل إلا سببه الأموال والأولاد، لابدّ أن يكون هذا أصل سببه، ليس هناك اعتداء في السرقة إلا يكون أصلها الأموال والأولاد والشهوات التي وراءها.

ففي سورة التغابن حصرت الفتنة في حق الأموال والأولاد: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، وقد مرّ معنا وسيمر معنا أيضًا في الباب القادم أنها زينة، ولما تسمع زينة لا تظن على وجه المدح كما مرّ معنا لما كنا نتدارس آية سورة آل عمران، لأن الله عز وجل قال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ يعني معنى ذلك أن هذا على وجه لكم أنها زينة.

نعيد القاعدة التي تعلمناها من سورة آل عمران: نحن نتعامل مع المال والأولاد معاملة من يصاحب وليس من يجعلها مقصوده، راجعوا مرة أخرى كلام الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية، قسم الناس في مسألة الأموال إلى قسمين:

١. قوم جعلوا المال مقصدهم فصرفوا حياتهم كلها ورضاهم وسخطهم على المال والأولاد وغيرها من الأشياء التي ذكرت في آية آل عمران.
٢. قسم آخر عرفوا المال وجعلوه وسيلة للمقصد وهي حقًا وسيلة للمقصد.

نفكّر كيف تكون وسيلة للمقصد؟

- لو تمناها العبد وأراداها فيطلبها من الله، فبذلك يعبد الله بالطلب.
- إذا تمناها وعد ربه أنه إذا حصل عليها أن يصرفها فيما يرضي الله عز وجل وتكون قربة إلى الله ويفي بوعده فتكون هذه قربة لله وهو يصاحبها وهي ليست في قلبه
- إذا حصل عليها وتصدق بها واحتسب الأجر عند الله عز وجل سيجد في قلبه من زيادة الإيمان ما يجد فتكون هذه سبب في قربه من الله
- إن حصل في هذه الأموال ما لا يرضاه هو رضي بالله عز وجل وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون فعرف أننا ملك لله وأن ما نملكه ملك لله عز وجل وأن كلنا عائد لله عز وجل..

إلى آخر التصرفات التي تدل على أن المال يصاحبه وليس في قلبه.

يأتينا بعد ذلك الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))

هنا تبيَّنت مجموعة أسماء تمثل الأموال في حياة الناس، فمن هذه الأسماء: الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، هذه كلها عبارة عن أمور تتصل بالأموال في الدنيا.

النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد هذه الأشياء، فهل ممكن أن يكون الإنسان وصل إلى حد أن يؤله هذه الأشياء فتصبح إلهه من دون الله! نعم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾، فمن اتخذ إلهه هواه فكانت هذه الأمور في قلبه هي المسيطرة على نفسه بحيث أنه يصل في نهاية الأمر أنه لا يرضى ولا يسخط إلا بسبب هذه الأمور، فكأنه صار عبدًا لها.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فتأتي هذه الأمور فيها، رضاه عن الله عز وجل بسبب هذه الأموال، رضاه عن الأقدار التي قسّمت له أو لغيره بسبب هذه الأموال، إذن يصل الإنسان أن يكون عبدًا لهواه بسبب أن ما أعطاه الله عز وجل إياه جعله إلهه فأطاعه من دون الله.

ما معنى طاعته أو ما معنى أن يكون عبدًا؟ لن يقدّم العبادات لها لكن رضاه وسخطه كله دائر حول المال، إن حصل عليه رضي وإن لم يحصل عليه لم يرضى.

نرى مراتب رضاه.

"إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ" سنبدأ أولًا من جهة الله عز وجل: يعني لا يرضى عن الله إلا إذا أعطاه الله عز وجل، بمعنى أنه يمكن أن يترك الطاعات والعبادات إذا لم يأتي الأمر على هواه.

يعني يأتي أحد يصلي ويصوم ثم يجد نفسه مثلًا ما أعطي ما يريده فيترك الصلاة والصيام! يقول أنا فعلت كل شيء وربنا لم يعطيني! فهذا معناه أنه عبد لهواه إذا أعطي ما يريده وما يرغبه أطاع الله وإذا لم يعط ما يرغبه ما يطيعه!

أيضًا مثل هذه الصورة في وليّ أمره، في أولياء الأمور يكون العبد عاهد الله أن هذا ولي أمره، بمجرد ما يكون ولي أمر عليه السمع والطاعة فهو لا يسمع ولا يطيع إلا إذا ولي أمره أعطاه على هواه، إذا ما أعطاه لا يقبل أن يسمعه ويطيعه، وهذه طبعًا من أعظم الخيانات التي يعيشها الناس كونهم لا يطيعون إلا إذا أتى الأمر على هواهم وهذا الذي يعيشه الناس المال فتنهم والدنيا فتنتهم إلى درجة أنهم لا يرضون عن ربهم إلا إذا أعطاهم ولا يرضون عن ولي أمرهم إلا إذا أعطاهم ولي أمرهم، فالسّمع والطاعة مقرونة بالهوى فيكون الإنسان في تلك الحال عبدًا لهواه.

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ))

أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَطَاءً، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ، وَلاَ يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ)) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "فَلاَ أَدْرِي مِنَ القُرْآنِ هُوَ أَمْ لاَ"، قَالَ: وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى المِنْبَرِ.

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْغَسِيلِ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِمَكَّةَ فِي خُطْبَتِهِ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مَلْئًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ)).

هذا الحديث مما اشتهر عند الصحابة حتى أن ابن عباس يقول: «فَلاَ أَدْرِي مِنَ القُرْآنِ هُوَ أَمْ لاَ»، ولذلك يأتي في الرواية الأخيرة في الحديث:

وَقَالَ لَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُبَيٍّ قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنْ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ.

يعني كانوا يرون هذا الحديث كأنه من القرآن من كثرة تكراره حتى أنزل الله عز وجل: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

نرى مجمل معنى الحديث.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا" هذا إشارة إلى الطمع، فلو كان عنده واديان من مال وفي الرواية الثانية: "وَادِيًا مَلْئًا مِنْ ذَهَبٍ"، وفي الرواية الثالثة: " لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا" كل هذه أدلة على أن شيئًا عظيمًا وادي كبير فيه مال، حتى لو هذا وجد ليقتنع الإنسان أن إرادته للمال ليست من جهة الضرورة ولا الحاجة ولا حتى التوسع وإنما من جهة الطمع! بحيث أنه يكون عنده ولو كان عنده يريد أيضًا الزيادة، وهذا لا يكون إلا من شخص له ثلاثة أوصاف.

الحديث فيه عموم: "لو كان لابن آدم واديان" المقصود بني آدم على وجه العموم وكأن هذا مما ابتلي به الخلق من جهة طباعهم، يعني طباعهم فيها أطماع، ولذلك وصف الله عز وجل الإنسان: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ثم قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ فهذه من الطباع التي ابتلي بها الناس.

وهنا لابدّ أن نذكر أنفسنا أن الله قد ابتلانا في الدنيا بالطباع، مرّ معنا في الباب السابق خبرًا عن غرور الإنسان واغتراره فالنفس من طباعها أن أي شيء يغرها.

أيضًا من طباعها الطمع، فنحن دورنا في الحياة المجاهدة، بمعنى أن الإنسان أعطي قوة بالإيمان، لما يكون الإنسان مؤمن وعرف الحقائق الغيبية هذا الإيمان والحقائق الغيبية تكون له قوّة، ومن الجهة الأخرى هو مبتلى بطبعه، فالصراع دائمًا بين قوة الإيمان وبين الطبع الذي ابتلي به الإنسان.

ولذلك مرة أخرى تذكروا الآية: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ثم استثني ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[1] إذن معنى ذلك أن المصلي الذي معه إيمان يغالب هذه الطباع التي قد طُبع عليها الإنسان، وهذه المسألة غاية في الأهمية لما نأتي نقول لأنفسنا حبّ المال شيء طبيعي، حبّ الأولاد شيء طبيعي، إلى آخر ما نقول عنه طبيعي! هو صحيح طبيعي وابتلي به الإنسان لكن هذه نقطة بلاؤه ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[2]! والمقصود أنك تزيد إيمان وتبذل جهدك في سؤال الرحمن أن يرحمك من طباعك التي ابتليت بها، وكلّما جاءتك صراعات تنجح فيها.

فالمقصود أن معرفة طبعنا يعيننا على تشخيص المرض، إذن نحن عرفنا من الأحاديث أن الإنسان ابتلي بطبع الطمع فلو كان عنده وادٍ من ذهب لطلب ثاني، ولو كان عنده واديان كان قد طلب الثالث، والإنسان ليس له إلا ما أكل وشبع وما لبس فأكتسى! ليس له إلا هذا! وكل الباقي سيكون عليه السؤال في تحصيله وليس له بقاؤه، ولذلك ما أعظمها من خيبة لما يموت يسأل عن ماله ((وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟))[3] فهذا يجعل الإنسان يعرف أنه مبتلى بهذا البلاء فيجاهد.

---

[1] سورة المعارج ١٩

[2] سورة التغابن ١٥

[3] رواه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

"لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا" والخبر الثاني: "لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مَلْئًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا" هذه الأخبار تخبرنا أننا ابتلينا بطبع الطمع وحب الاستكثار؛ لأنه ليس طمعًا فقط أني أريد مال إنما هناك أيضًا شيء آخر وهو الاستكثار، يعني يستكثر من الأشياء.

عندي مثلًا قطعة من الذهب أستكثر أن آتي أيضًا بقطعة أخرى، عندي مجلس لاستقبال الضيوف فأستكثر وأعمل مجلس آخر، وأحسب حسابات كلها خيالية أنه لو أتونا ولو حصل كذا ولو حصل كذا ويكون أصلًا هذا الإنسان يمكن أن لا يستقبل في السنة كلها أحد إلا في المناسبات الضيّقة، وأيضًا لما تأتي له مناسبة يستأجر مكان ويستقبل الناس في الخارج! لكن مع ذلك هو في الداخل يستكثر ويستكثر ويستكثر، ثم يأتي مثلًا بالماعون ويشتري الأول والثاني ويقول لو أنه أتانا كذا ويشتري الثالث والرابع وكل هذا على أنه لو حصل!

فنحن أمام مشكلتان:

١. مشكلة الطمع.

٢. ومشكلة الاستكثار .

ولما تأتي مشكلة الاستكثار نفسرها على أنه ربنا وسع علينا، فالتوسيع يكون بزيادة الإيمان وهذا لا يمنع أن الإنسان يأخذ ثلاثة أمور:

١. يأخذ ضرورياته.

٢. يأخذ حاجاته.

٣. يتوسع.

الضروريات يأخذها أكيد، الشرع يأمرك أن تأخذ ضرورياتك وخذ حاجاتك وأيضًا توسّع لكن توسّع في حدّ أن يقف التوسع، انظر كلّما توسّعت ستجد نفسك لا تقف أبدًا إنما مطمع على مطمع، وكل واحد له طمع مختلف عن غيره، فهناك من يطمع في الأموال، يريد أن يشعر أن عنده رصيد كذا وكذا، يقول لنفسه متى يصل رصيدي إلى كذا، فهذه مشكلته نفس الدينار والدرهم السيولة النقد.

وآخر مشكلته القطيفة والخميلة، القطيفة والخميلة تتصل بأثاث الإنسان ولباسه، فيكون مطمعه من هذه الجهة فيستكثر ويستكثر، يقول هذا اللبس لهذه المناسبة وهذه لهذه المناسبة إلى آخره.

إذن طمع واستكثار وعلى ذلك احسب مما فتن به الناس اليوم الاستكثار مثلًا في الجوالات، الاستكثار في الساعات، إلى أن نصل إلى الاستكثار في أحذيتنا، كل واحد مفتون بفتنة، ضع يدك على ما استكثرت فيه، واليوم الشباب لا يستكثرون من القطيفة والخميصة والخميلة لكن يستكثرون من الإلكترونيات، فهم فتنتهم أتت من هذه الجهة فلا يقبل وكلما نزل شيء جديد يستكثر منه وليس على قدر حاجته، فليعلم أن الاستكثار ليس له صفة واحدة إنما في كل ما فتن به الناس.

إذن معنى ذلك أن من طباعنا التي ابتلينا بها الطمع والاستكثار، لو كان عندنا واد نريد واد ثاني، لو كان هناك واد ثاني نريد واد ثالث، وهذا يحصل حتى في الخيال، حتى لما يتخيل الإنسان أنه تاجر مثلًا أو أنه اشترى، يقول مثلًا كسبت مليون ثم لا يقتنع أنه فقط مليون إنما أيضًا كسبت كذا.

فالمقصود أن هذا الطبع الذي ابتلينا به من جهة الطمع في الدنيا والأمر الثاني الاستكثار لابد من جهاده، نحن ابتلينا وهذه البلوى مشترك فيها كل الناس لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ابن آدم" يعني على ما خلق وجبل والحل قوة الإيمان، كلما زاد الإنسان قوّة إيمان بما عند الله كلما زاد قوة إيمان بالغيب.

كلما زاد قوة إيمان بحقيقة الدنيا وحقيقة ما هو عليه سيجعل هذا الأمر كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم ما هو إلا تراب، ستكون هذه حقيقته.

لما نقرأ في الحديث: "وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ" كأنه يقال لا يملؤه من كثرة الطمع إلا الموت، الموت هذا الذي يقطع طمع الإنسان! المقصود من لم يعالج نفسه بالإيمان، أما من عالج نفسه بالإيمان فسيتصور هذا كله كالتراب لأنه في نتيجته أنت ستدخل التراب وهو في حقيقته لن يكون إلا تراب، لن يدخل معك شيء منه أبدًا.

علاج الطمع:

الطمع لا يحصل إلا بسبب أن الإنسان لا يتصور حقيقة الحياة من جهة وحقيقة لقاء الله من جهة أخرى، حقيقة الحياة وحقيقة لقاء الله لا تتبيَّن للإنسان إلا لما يؤمن بالغيب، ولما تزيد موارد الإيمان بالغيب للإنسان فتقوى الموارد عنده يعرف من هو الله عز وجل وكيف يكون لقاؤه سبحانه وتعالى وما هي الحقيقة وكيف أن الناس لما يقترب قيام الساعة وتحشرهم الناس يمرّون على الأرض وقد أخرجت خيراتها، متصورين كيف يخرج من الأرض الذهب بالكميات والفضة بالكميات، فيمرون عليها والنار تحشرهم وتذهب بهم وهم في حال بغض شديد لهذا الذي يخرجه بركات الأرض ويقولون في هذا ضاربت أخي في هذا خاصمته وتتبيَّن لهم الحقيقة لكن في وقت قد انتهى الأمر فيه.

فالإيمان بالغيب له فرعين:

الفرع الأول: معرفة الله ومعرفة لقاء الله عز وجل ومعرفة ماذا سيكون في الآخرة (الإيمان بالغيب).

الفرع الثاني: معرفة حقيقة الدنيا، التي كُرر ضرب الأمثال لها، ضرب مثل للدنيا في سورة يونس، وضرب مثل للدنيا في سورة الكهف، وضرب مثل للدنيا في سورة الحديد.

- كل جمعة نقرأ سورة الكهف والله يبيّن لنا حقيقة الدنيا، ونقرأ: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ وكأنه يقال اجعل آمالك فيما عند الله، الباقيات الصالحات من ذكره وطاعته وعبادته خير ثوابًا ستجد ثوابها أعلى، وليس فقط خير ثوابًا وإنما خير أملًا يعني خير ما تأملت فاجمع قلبك عليه وانتظر ما عند الله عز وجل.

- لما ضرب في سورة يونس المثل للدنيا قال الله بعدما وصف الدنيا وضعفها وما فيها قال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ يعني اترك عنك دار الآفات المليئة بالآفات والنقائص والله يدعوك إلى دار السلام فأنت اقبل دعوة الله واذهب إليها.

- لما ضرب مثل للدنيا في سورة الحديد قال: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

فالمقصود أن الله عز وجل يبيّن لنا حقيقة الدنيا ثم يدعونا لما عنده، فالعبد لو عرف حقيقة الدنيا من جهة وعرف ما عند الله من جهة ستكون نهاية شأنه أن يجمع قلبه على المجاهدة.

لا تتصور أنه لا يقع في قلبك حبها! بل لا بدّ أن يقع في قلبك حبها ثم يأتي الإيمان يصارع هذا الحب والإيمان إذا كان قويًّا فإنه سيغالب هذا الحبّ ويردّه فيردك عن اتخاذ قرارات فيها التكاثر أو الطمع، نقول لكن مازال في قلبي طمع؟!

نقول والجهاد يرد النفس عن هذا الطمع، بمعنى لا تكون مثاليًا ولا تظن أن الإيمان فعله في نفسك يقطع تمامًا الأطماع من النفوس لأن النفوس مهما تقدمت يبقى فيها الطمع، فالقصة أن الطمع الذي جبلت عليه تجاهده بما معك من إيمان، من أجل أن لا يتصور الإنسان أن المؤمن خالص الإيمان المفروض لا تمرّ عليه خاطرة الطمع! بل إنها تمرّ ولكنه يجاهدها بالإيمان، فإذا جاهدها بالإيمان تأتي مرحلة بعدها، فكان أول الحل نقطتين:

اعرف الله عز وجل معرفة حقيقية واعرف لقاء الله الغيب، ومن الجهة الأخرى أيضًا في الغيب اعرف حقيقة الدنيا، وحقيقة الدنيا الخبر يأتي عنها غيب لكن الذي جرب واستفاد من تجربته يعرف حقيقة الدنيا لأن أي شيء يفرح به الإنسان هل يطول زمن فرحه به؟ لا، مهما كان، مهما فعلت من جهة أطماعك تفعل هذا لطمع ثم بعد قليل يذهب ما كنت تراه فكله يذهب، فهذه التجارب تكفينا في التأدب أن لا نزيد أطماع لأنفسنا.

معنى ذلك هذين وصفين يشتركان في الإيمان بالغيب:

١. يؤمن بما أخبر الله عز وجل من خبر الدنيا.
٢. وآمن بما أخبر الله عز وجل من خبر الآخرة.

يأتي الأمر الثالث شيء مهم جدًا وهي المجاهدة، يعني لما تؤمن بهذين الأمرين لاحظ في نفسك متى يلقى عليك مثل هذه الأمور، يعني متى يلقى في قلبك الطمع؟ لاحظ قلبك لتبدأ عملية المجاهدة لأنه أحيانًا ندخل في الطمع وننتهي أو ندخل في الاستكثار وننتهي ثم لا أفهم أني لما فعلت هذا الشيء كنت مستكثرا، أو لما طبخت هذه الأربعة خمسة أصناف كنت مستكثرة، بعد ما ينتهي الأمر أتصوّر أني مستكثرة.

فالمقصود أن من أول الأمر لاحظ وضع عندك قوانين أن لا تستكثر، أن لا تطمع، وإذا وقع في القلب عليك أن تجاهد ما استطعت إلى ذلك سبيلا، نفترض أن اليوم طمعنا أو نفترض أن اليوم استكثرنا نستفيد من التجربة غدًا فلا نستكثر غدًا، بمعنى كثرة التفكير للملاحظة والمجاهدة.

يأتي الحل الثالث الآن إذا وجدت الناس يطمعون ويستكثرون من الدنيا فأنت اجعل آمالك في الباقيات الصالحات، إذن معنى ذلك أستكثر مما عند الله عز وجل، أطمع فيما عند الله، حب ما عند الله عز وجل، حبّب نفسك فيما عند الله، أثر نفسك بالأجور المترتبة على ذلك، تصوّر ما عند الله عز وجل، تصوّر كيف الإنسان في قبره لما يُسأل الأسئلة الثلاثة ثم يجيب كما ينبغي كيف يلبس لباس من الجنة وكيف يفتح له من الجنة وكيف تأتيه ريح الجنة، كيف يكون له نعيم لو جمع نعيم أهل الأرض كلهم لنعيم هذا الذي في قبره لا يسوى شيء، فاستكثر من هذا الكلام لنفسك من أجل أن تتصور أن هذا العمل قراءتك للقرآن نور، الصدقة برهان، الصلاة ضياء، إلى آخر ما وصفت لك الطاعات، ففكّر في الباقيات الصالحات من جهة ثوابها ومن جهة الآمال المترتبة عليها.

أصبح الآن عندي ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بالله وبما أخبر به الله وبلقاء الله.

الأمر الثاني: الإيمان بحقيقة الدنيا، يعني اكشف حقيقتها أن لها ظاهر فلا يغرنك الشيطان، لا يغرنك بالله الغرور.

الأمر الثالث: ضع أمامك الآية: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ ففكّر في الثواب، ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ يعني اجعلها آمالك، دائمًا تفكّر في الأمل، هذا العمل لو قبله الله ماذا يكون أثره عند الله عزّ وجل، هذه الصدقة لو قبلها الله كيف تكون ظلًا لي يوم القيامة، فكّر في الآمال التي تربطك بما عند الله عز وجل.

عل فهمنا الآن أمرين: فهمنا الطمع وفهمنا التكاثر، والطمع والتكاثر أمران من طبيعة الإنسان، لابدّ أن تعرف أن التكاثر الذي هو مبني على الطمع أمر يدخل فيه الالتهاء ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ التكاثر يلهيك عن مقصود الحياة الحقيقي وهو الاستعداد للقاء الله عز وجل.

فإذن لا يمكن أن يحصل تكاثر إلا ومعه التهاء عن الغاية، يعني لا تظن أنك تستطيع أن تجمع بين الأمرين أن تتكاثر من الدنيا وتطلب شأن الآخرة، وتتكاثر من الدنيا غير أن تحقق ضرورياتك وحاجاتك وشيء من التوسع فوقهم، هذا شيء وهذا شيء، التكاثر يلهي الإنسان كما قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ يعني إلى أن متم فإذا استسلمت إلى أن تتكاثر ستبقى تتكاثر إلى أن تموت، تقطع هذا التكاثر بالجهاد، الجهاد كيف أقويه في نفسي؟

بثلاثة أمور:

الأمر الأول معرفة الله وما عند الله.

الأمر الثاني معرفة الدنيا وحقيقتها.

الأمر الثالث: تأميل النفس في الأعمال الصالحة وآثارها على الإنسان في الدنيا والآخرة فتكون الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملا.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن قبلهم في هذا المجلس وفي غيره من المجالس، نرجو من الله أن يقبل صيامنا وقيامنا اللهم آمين.